# العامية وأثرها في العربية الفصيحة

الباحث: د عبد المجيد باباابريك
دكتوراه في الفقه وأصوله من جامعة المولى إسماعيل بمكناس.
أستاذ بالتعليم الثانوي التأهيلي مديرية الخميسات
أستاذ زائر بمركز تكوين المعلمين بالخميسات
المغرب

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

**مقدمة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى الدين.

تعدّ اللغة العربية من أهم عناصر الهوية الدينية والوطنية التي لا بد من التمسك بها وصيانتها، وإن من التحديات التي تواجه اللغة العربية في واقعنا اليوم هي محاولة الاستعاضة عنها باللغة العامية في التدريس وفي الإعلام وفي عديد من المستويات التي يُراد أقصاء اللسان الفصيح منها؛ وإن هذا المقصد –إحلال العامية بدل الفصحى– لا يقل خطورة من إزالة اللغة العربية رأسا؛ وتتجلى خطورته في كون استعمال اللغة العامية إنما هو مرحلة نحو التخلي عن اللغة الفصيحة لمصلحة لغة المستعمر. ولهذا جاء هذا المقال ليُسهم في بيان بعض جوانب هذا الموضوع، وسأتناول ضمن هذه الورقة النقط الآتية:1 تعريف العامية 2بعض ما كتب في الموضوع 3 نشأة العامية وتطورها التاريخي4 أهم مظاهر العامية وآثرها 5 مستويات العامية و دركاتها 6 مبررات أصحاب الدعوة إلى العامية ومسوغاتهم 7 مقاصد الدعوة وأهداف الدعاة 8 خلاصة وتوصيات.

**أولا: تعريف العامية**

سأقتصر في تعريف هذا المفهوم على نموذجين أحسبهما يفيان بالغرض الأول: من المعجم الوسيط حيث جاء فيه: " **العامة من الناس خلاف الخاصة ج عوام ويقال جاء القوم عامة جميعا والعامي المنسوب إلى العامة ومن الكلام ما نطق به العامة على غير سنن الكلام العربي والعامية: لغة العامة وهي على خلاف الفصحى**"[1]

والثاني هو تعريف الدكتورة نفوسة زكريا سعيد؛ حيث عرفت العامية بقولها: "**أما لغة الحديث أو العامية فهي اللغة التي تستخدم في الشئون العادية ويجري بها الحديث اليومي. ..ولا تخضع للقوانين التي تحكم العربية الفصحى لأنها تلقائية متغيرة تتغير تبعا لتغير وتغير الظروف المحيطة بهم...**"[2]

يتضح من التعريفين السابقين أن العامية كيان لغوي متحرر من القواعد التي تخضع لها الفصحى يميل إلى التسهيل في النطق وتنحو إلى التخفيف وتتميز بسرعة تطورها وهي شفوية في غالبها.

**ثانيا: ما كتب في الموضوع**

كانت التفاتة العلماء لموضوع كلام العوام قديما فوجهوا له جزءا مهما من عنايتهم في إطار خدمتهم للغة، إلا أن قصدهم وهدفهم الكتابة في كلام العامة كان ابتغاء تقويم الألسن والأقلام، وصيانة اللسان العربي الفصيح من الدواخل والعجمة، ولم تكن لهم مقاصد المستشرقين المعاصرين أو من دخل جحرهم من رويبضة المستغربين، إلا شيئا يحكى عن ابن خلدون في مقدمته[3] من قرب رأيه في اللسان العامي من كلام المستشرقين. ومن الكتب المؤلفة في الموضوع نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر:

- "ما تلحن به العوام" كتب بهذا العنوان الكسائي 189 هـ، وأحمد بن حاتم الساهلي331هـ.

- "لحن العامة" كتب تحت هذا العنوان كل من: بكر بن محمد المازني 348 هـ، وأبو حاتم السجستاني 255 هـ، وأحمد بن داود الديفوري 290 هـ..
- لحن العامة والخاصة لأبي هلال حسن العسكري.
- إصلاح المنطق لابن السيكيت.
- كتاب الفصيح لثعلب.
- لحن العوام للزُبيدي الأندلسي.[4]
- درة الغواص في أوهام الخواص لأبي القاسم الحريزي[5].
- شفاء الغليل بما في كلام العرب من الدخيل. لشهاب الدين الخفاجي ت1069 هـ .

هذا غيض من فيض المؤلفات التي كتبها الأئمة من سلف هذه الأمة؛ عناية منهم بهذه اللغة الشريفة وصون لها من كل شائبة، فقاموا بذلك بواجب وقتهم وأدوا ما أملته عليهم الحاجة الحضرية التي كانوا يعاصرونها، أما كتابة المعاصرين في الموضوع فيمكن تصنيفها إلى صنفين:

**الأول دعاة اعتماد العامية ومحاربة الفصيحة.**

وأغلب هؤلاء الذين كتبوا في هذا الصدد مستشرقون وبعض المستغربين ومن أولئك:

- الرسالة التامة في كلام العامة لميخائيل الصباغ.
- أصول اللغة العربية المحلية، لأحمد فارس الشدياق.

ناهيك عما كتب دفاعا عن عاميات قطرية مثل:

- لهجة بغداد العامية للويز ماسنيون
- لغة بيروت العامية لأمانويل ماتسون
- عربية مراكش loues mercier
- لغة مراكش العامية وقواعدها ben smail[6]

إضافة إلى محاضرات ورسائل ومقالات، كتبت للدفاع عن استعمال اللسان العامي، وعززت ببرامج تلفزيونية تكلم فيها من لا يعرف قبيلا في الأمر ولا دبيرا، وخرجات صحفية وغيرها[7].

**الصنف الثاني: الكتابات والدراسات العلمية المنصفة في موضوع العامية.**

ونذكر من ذلك:

- "تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر" للدكتورة نفوسة زكرياء سعيد.
- تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات للدكتور شوقي ضيف.
- معجم فصاح العامية لهشام النحاس.
- الأمثال العامية لأحمد تيمور باشا.
- أصول الكلمات العامية لحسن توفيق.
- تهذيب الألفاظ العامية. لمحمد الدسوقي.
- أصول العربية الفصيحة في تمازيغت فجيج للدكتور أحمد حدادي.

ومما يندرج في هذا السياق : كتاب تقويم اللسانين للدكتور تقي الدين الهلالي وتقويم اللسانين: اللسان والقلم لدكتور أحمد حدادي. هذا إضافة لمجموعة من المقالات في الموضوع نذكر منها:

- الدعوة إلى الدارجة بالمغرب الجذور والامتدادات–الأهداف والمسوغات للدكتور عبد العلي الودغيري، ولهذا الرجل كتابات أخرى في الموضوع متميزة بالدقة والتخصص.

- الدعوة إلى العامية المسار والأهداف للدكتور مصطفى بن حمزة.
- إضافة لمجموعة أخرى من المقالات نشرتها مجلة المجمع على الخصوص وغيرها.

وكذا كتب تناولت الموضوع ضمن فصل من فصولها دون أن تفرد له كتابات خاصة نذكر من ذلك:

- أباطيل وأسمار لمحمود شاكر.
- كتاب قادة فتح الأندلس تأليف محمود شيت.
- كتاب عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية لمصطفى حميداتو.

زد على ذلك ندوات ومحاضرات ألقيت في الموضوع، وندوة المجلس العلمي المحترم لفجيج لبنة في ذاك البناء.

وعلى العموم فلم تكن اللغة في قديم عهدها مهددة بما تخشاه اليوم، والملاحظ أن عناية علماء سلف الأمة باللغة الفصيحة كان قويا، وبالمقابل ونحن في زمان الغارة على لغة الهوية والدين؛ فإن عناية الباحثين والمختصين وعموم الدارسين والغيورين على اللغة العربية – رغم الجهود التي تذكر وتشكر – إلا أنها تبقى دون درجة ومستوى الأوائل بفارق كبير.

**ثالثا: نشأة العامية وتطورها التاريخي.**

تحدث الباحثون عن تاريخ العامية وبداياتها الأولى؛ فكانت لهم أقوال متعددة بين من اعتبرها ضاربة في التاريخ موغلة في القدم، وبين من اعتبرها حديثة العهد ووليدة العصر. وآخرون موقفهم بين ذلك قواما، ويمكن تجميع المهم منها في أربعة أقوال هي:

1. قول من يعتبرون أن العامية ظهرت إلى جنب اللغة العربية الفصيحة قبل ظهور الإسلام، ويقصد أصحاب هذا القول اللغات أو التي كانت إلى جانب لغة قريش، وواضح من كلام أصحاب هذا الرأي؛ أنهم يعتبرون لغة قريش هي اللغة المعيارية، ومن هؤلاء الدكتورة نفوسة سعيد زكريا؛ حيث تقول في مطلع سفرها العظيم متحدثة عن لغة قريش: "وقد ترتب عن تغلبها على بقية اللهجات العربية أن أصبحت لغة الأدب عند جميع القبائل العربية، وأصبح العربي أيا كانت قبيلته يؤلف شعره وخطابته ونثره بلغة قريش. وقد تمت لها هذه السيادة الأدبية قبل نزول القرآن فلما نزل القرآن بلغة قريش عزز سيادتها وثبت دعائمها وقوى سلطانها فبفضله ازدادت ضبطا وإحكاما..."[8]
2. القول الثاني: يعتبر أن ظهور العامية كان مع دخول جحافل من الفرس والروم وعموم الأعاجم إلى الإسلام،[9] واختلاط الأمة العربية بأجناس لغوية متضاربة فأفرز ذلك عربية مشوبة باللحن؛ سواء النحوي أو المفهومي، وهو ما عرف عند العلماء بالعُجمة، وكان ذلك منتصف القرن الأول للهجرة، ويحتجون لقولهم هذا بالحركة العلمية التصحيحية في اللغة واللسان، التي قام بها العلماء فأنتجت رسالة الإمام الشافعي في البيان، ورحلات الأصمعي في بوادي العرب ابتغاء جمع الفصيح، وفي هذا الحقبة يقول الإمام الحسن البصري مبرزا خطورة اللحن: "إنما أهلك الناس العُجمة" ولأجل ذلك كُتب النحو كما هو مشهور على يد أبي الأسود الدؤلي.
3. القول الثالث: يرجع ظهور العامية إلى القرن السابع عشر ميلادي؛ حيث علل أصحاب هذا الاختيار طهور العامية بحملات التنصير ودعوات المبشرين إلى تعلم اللغات العامية العربية، من أجل استعمالها وسيلة لتنفيذ مخططاتهم التنصيرية، ويأتي على رأس أصحاب هذا القول المحقق الأديب والعلامة الأريب أبو فهر محمد محمود شاكر[10]
4. القول الرابع يربط العامية بالإرهاصات الاستعمارية؛ معتبرا أن الدعوة إلى العامية مقدمة وفرشا ثقافيا ممهدا للحملة الاستعمارية العسكرية، وممن يمكن تصنيفهم في هذا القول الدكتورة عائشة بنت الشاطئ كما حكى تأريخها الدكتور مصطفى بن حمزة في مقال رصين له في الموضوع.

وعموما؛ فهذه الأقوال كلها لها نصيبها من الصحة؛ بحسب الاعتبارات التي تنطلق منها، إلا أن الذي يتناسب وموضوع الدعوة إلى العامية في إخراجها الحديث ومقاصد دعاتها المعاصرين؛ هو القول الرابع الذي ربط هذه الدعوة بالحملات الاستعمارية وكذا بالمد التنصيري، ودليل ذلك أن دعاة هذا الأمر، أغلبهم غربيين: إما منصرين أو مستخدمين عند دول الاحتلال، يقول في هذا الصدد الدكتور الودغيري: " فمن السابقين الأوائل للدعوة لاستعمال العامية عوضَ الفصحى في مصر والعالم العربي، نجد من الألمان الدكتور ويلهيلم سبيتا Wilhelm Spita (سنة 1880 م) مدير دار الكتب المصرية، وكارل فولرس Karl Vollers (سنة 1890 م). ومن

الإنجليز نجد: ويليم ويلكوكس W.Willcocks (سنة 1893 م) وهو مهندس في الري، وويلمورWillmore (سنة 1901 م) القاضي في محاكم القاهرة. وويليم تميل جردنر W.T.Gardner (سنة 1917 م) وغيرهم من رجالات الاستعمار الغربي. ومن المستشرقين المرموقين الذين انضموا إلى هذه المقولة، الفرنسي لوي ماسينون في محاضرة شهيرة له في بيروت سنة 1931 م"[11]

**رابعا: أهم مظاهر العامية وآثرها:**

تداول العامية واستعمال اللسان الدارج أمر مقبول وطبيعي وفي الحديث الشفوي اليومي بين الناس، وفي شؤون الناس العادية، وهو أمر جرى به العمل منذ القديم، ولم يفرز مشكلا ولا تعارضا. ولكن وجه الجِدة والخطورة التي برزت من أثر العامية على اللغة العربية الفصيحة في الوقت المعاصر، يتجلى في مزاحمة العامية للفصيحة في مواقع كانت إلى عهد قريب عرينا خاصا بالفصيحة، ومن أهم تلك المظاهر نذكر:

1. ظهور صحف مكتوبة بالدارجة؛ منها صحف ورقية وأخرى إليكترونية على الشابكة العالمية؛ وهذا أمر بليغ السوء، أثره جد خطير في تدهور وانهيار مستوى اللغة العربية الفصيحة عند القراء، ويشيع اللغة العامية بشكل غير مسبوق.
2. قنوات فضائية تلقي موادها الإعلامية باللسان الدارج؛ وهذه القنوات تولي وجهها شطر العامية إما قصد الترويج لها باعتبارها بديلا عن الفصيحة، أو ابتغاء مال وجمهور ترجوهما.
3. إذاعات تبث برامجها بالعامية.
4. ظهور مواقع إليكترونية متخصصة في الدعوة للعامية[12]
5. قطاع الأفلام والمسرح والمسلسلات وغيرها، عم أغلبه الاستعمال العامي أو الأجنبي في الكلام؛ وهذا المجال من أكبر وسائل ترسيخ العامية وتثبيت دعائمها حتى بين أفراد الفئة المثقفة.
6. في مجال التربية والتعليم، نسجل غزو اللسان العامي لفصول الدراسة؛ وهذا راجع إلى تدني المستوى العلمي عموما، ودخول موجة الاستعمال العامي في صفوف الطلبة والمعلمين،
7. في المساجد والمنابر والكراسي الوعظية؛ حيث أصبح استعمال اللسان الدارج شائعا في خطب الجمعة وأغلب الدروس الدينية، ولعل التبرير الذي يقدم في هذا الشأن؛ هو تقريب المعلومة من المستمع وتيسير المعنى للمتلقي، بحكم وجود طبقة مهمة من جمهور المتلقين للدروس والخطب الدينية ممن لا يدركون المعنى باللغة العربية الفصيحة.
8. العناية المبالغ فيها بالكتابات المدونة بالعامية؛ من زجل وقصة وأقصوصة ومسرح وغيره، وكأنه اكتشاف عظيم غير مسبوق، أو كأنه السبيل المنقذ من كل الأزمات التي تتخبط فيها الأمة.

ولكن هذا الأمر يزداد غرابة؛ حينما يُلحظ التدخل الأجنبي لنصرة أمر العامية. وشن الحملات ضد لغة الضاد، وتولي الإفتاء في الشأن اللغوي كما يقول الدكتور عبد العالي الودغيري: " نلاحظ باستغراب تدخل عناصر أجنبية عن البلاد في المشكل اللغوي الخاص بالمغرب، لا بغاية الدراسة أو الوصف العلمي الأكاديمي المُحايِد، ولكن بصفة القاصِدِ المُتعمّد لتوجيه السياسة اللغوية للمغرب نحو الوجهة التي يراها صالحةً لنا. فيُنصِّبُ من نفسه مُوجِّهاً تربوياً ومُرشِداً لغوياً لما ينبغي وما لا ينبغي عملُه، وقاضياً يُصدر الأحكامَ على هذه اللغة أو تلك، ويشتُم هذه ويمدح تلك. وكأنه لا يعلم أن مسألة اختيار اللغة بالنسبة لشعب من الشعوب هي مسألةُ سيادة لا يجوز لأجنبيٍّ أن يتدخَّل فيها. ولكن الأجانب – والفرنسيّين منهم بصفة خاصة – اعتادوا منذ مرحلة الاستعمار أن يستبيحوا سيادة الشعوب الأخرى، ويتدخلوا في كل شأن من شؤونه، بما في ذلك الإفتاء في شأننا اللغوي. فإذا كان أمثالُ دومينيك كُوبي وكلود هاجيج وآلان بنطُوليلة وروط جروريشار وسواهم من الفرنسيّين الجُدُد (وبعضُهم من أصل مغاربي يهودي أو مسيحي)' يُبيحون لأنفسهم الإفتاء في شأننا اللغوي،"[13] وقد أوردت الدكتورة نفوسة نماذج من هذا التدخل الأجنبي في الشأن اللغوي العربي، والدعم المغرض للعامية ومن ذلك:

أ-ترجمة الإنجيل إلى اللهجة العامية من طرف المنصر ولكوكس

ب- ترجمة مقاطع من روايات شكسبير للعامية للمنصر ولكوكس

ج-قصص عن أخبار العرب لأنولتيمان

د- أزجال مصرية لوريانن[14]

**خامسا: مستويات العامية و دركاتها**

العامية ليست على مستوى واحد؛ بل هي درجات تتباين حسب قربها وبعدها من اللغة العربية الفصيحة. يقول في هذا الصدد الدكتور الودغيري: "يمكن أن نذكر من هذه المستويات على سبيل المثال: 1) دارجة راقية قريبة من الفصحى، ويستخدمُها عادةً، طبقةُ المتعلمين الآخذين بنصيب وافر من العربية الفصحى. وبها يُنظَم شعرُ الملحون والزَّجل، وتُفسَّرُ بعضُ الدروس الدينية وتقدَّمُ بعضُ البرامج الترفيهية الجيدة المستوى في الفضائيات والإذاعات. 2) دارجة وُسطى يستعملها عامةُ الناس في الشوارع والأسواق والبيوت ومختلف طبقات المجتمع: من متعلِّمين وغير متعلِّمين، ويكَ ثُرُ فيها الخليطُ من العربي والأمازيغي والدخيل الأوروبي. 3) دارجة ساقطة مُبتذلة، تستعملُها فئةٌ خاصة من أدنى طبقات المجتمع تعلُّماً، ولها معجمٌ أو معاجم خاصة. 4) مستوى يستعمله المتأثِّرون بالثقافة الفرنسية أو الأجنبية عموماً، وهو لغةٌ هجينة لا هي بالعربية ولا بالأجنبية، وإنما كلمةٌ من هنا وأخرى من هناك."[15]

**سادسا: مبررات أصحاب الدعوة إلى العامية ومسوغاتهم.**

يُسوِّق أصحاب الدعوة إلى اعتماد العامية لدعوتهم بمبررات متعددة لعل من أهمها:

1. أن اللغة العربية ليست لغة علم وتقدم؛ وكأن العامية-في نظرهم- قادرة على أداء ما عجزت عنه أمها العربية الفصيحة، ومرادهم طبعا؛ هو ضرب العربية الفصيحة بالعامية ليخلو المجال للفرنسية بالأخص، وعموم لغات المستعمر على العموم.
2. أن اللغة العربية الفصيحة أشد اللغات تعقيدا وصعوبة، في حين أن العامية سهلة ميسور التعامل بها، ومن أصحاب هذا الزعم المستشرق سبيتا يقول د مصطفى بن حمزة: "لقد أوهم سبيتا ومن جاء بعده أن الفصحى بكتابتها هي أشد تعقيدا من لغات أخرى" موضحا أن هناك لغات تكتب بحروف عديدة وصعبة كاللغة الصينية ورغم ذلك حقق بها أهلها إنجازات علمية باهرة[16]. إذن العيب ليس في اللغة، وإنما في أهلها والحاملين لها؛ وقياسا على قول الشاعر[17] نقول:

نعيب لغتنا والعيب فينا *********وما للغتنا من عيب سوانا.

فكل الشعوب المزدهرة والمتقدمة؛ اقتصاديا وفكريا يقع التسويق للغتها مهما كانت هذه اللغة. ونجد دول العالم تتسابق نحو تعلم تلك اللغة واكتسبها. وبالمقابل فالشعوب التي ترزح تحت وطأة التخلف والفقر والتقهقر الاقتصادي والثقافي، ومنها غالب الشعوب العربية؛ يتم تهميشها وتهميش لغتها تبعا لها، وحظ العربية أن بعض أبنائها لم يقتصروا على عقوق لغتهم والتنكر لها والخجل من استعمالها، بل نسبوا لها هذا التخلف ووصموها بالرجعية والموات، يقول محمد سرحان: " ولا تعجز اللغة العربية عن مواكبة العلم والتقدم والحضارة، ومن يزعم أن لغة العلم والحضارة الآن هي اللغة غير العربية فهذا ليس عيبًا في اللغة ولا عجزًا منها، ولا دخل لها فيه؛ فإن المشكلة فينا لا فيها، ومنا لا منها؛ فنحن الذين تخلفنا وعجزنا، ولقد ظلت العربية لغة العلم قرونًا حين حَكمت شريعة القرآن الدنيا، وكانت علامة المدنية والحضارة عند الأوروبيين أن يتكلم أحدهم باللغة العربية، وكان ملوكهم يرسلون أبناءهم؛ ليتعلموا العلم من المسلمين، ومنه تَبَعَ لُؤم لغتنا العربية حتى غاظ ذلك القساوسة والرهبان؛ فحذروا من ذلك بإصدار قرارات الطرد والإبعاد لمن يتحدث العربية."[18]

3. أن للغة العربية نفس مصير اللغة اللاتينية، و بالتالي يتوقع لها المصير نفسه. يقول د بن حمزة: "هو قياس مع وجود الفارق الكبير والبون الشاسع، لأن ميزة العربية أنها استوعبت النص القرآني وأدت معانيه، وقد تميز هذا النص بأنه النص الوحيد الذي حافظ على اللغة كما تنزل بها، بينما كتبت نصوص الكتب الدينية السابقة بلغات مغايرة للغات التنزيل، فبالنسبة لإنجيل متى وهو أقدم الأناجيل، فإنه مترجم إلى اللاتينية عن الآرامية المحدثة التي تكلم بها عيسى عليه السلام، ولم يتبق في النص اللاتيني من اللغة الآرامية القديمة إلا ست عشرة كلمة. (الأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد وافي ص 87) بينما حفظ النص القرآني العربي متواترا وأحصيت وآياته وسوره وضبط المعجم والمهمل من حروفه، ورصدت معاني كلماته، وفسرت جمله واستنبطت بلاغته، وبذلت في خدمته جهود لم يحظ بمثلها كتاب آخر، وأخيرا فقد ضمن الله تعالى حفظ هذا النص لما قال: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

لحافظون" [ الحجر 9] ومن المنطقي أن تظل الفصحى محفوظة بحفظ القرآن، وان يستمر بقاؤها ببقائه ولا يكون لها مصير اللاتينية أو غيرها."[19]

4. تفادي التعددية اللغوية بين اللغة العربية الفصيحة والعامية، ويا للعجب، كيف ينظر إلى هذه التعددية على أنها مشكلة فقط في اللغة العربية وشعوبها، رغم أنها ظاهرة تكاد تعم كل لغات العالم. يقول الدكتور الودغيري: " على أن ظاهرة الثنائية اللغوية بهذا الشكل الذي عرفته العربيةُ، ليس حالةً تنفردُ بها لغتُنا كما قد يتصوَّر بعضُهم. وإنما هي حالةٌ عاديةٌ لا تكادُ تخلو منها لغةٌ من اللغات البشرية وإن بدرجاتٍ مُتفاوِتة، ولاسيما تلك التي عُمِّرت طويلاً،... أم هل يصدق أحدٌ أكذوبة أن ثنائية الفصحى والعامية هي سببُ التخلُّف أو الجَهل أو عدم انتشار التعليم؟ فليست هناك لغةٌ على وجه الأرض – إلا ما شَذَ كما قال فيشمان – ليس فيها ثنائيةٌ أو ازدواجية، وفي مقدمتها الفرنسية التي ما زالت إلى اليوم تتكوَّن من عدة لهجات ولغات (كالبروطونية والأوكسيطانية والباسكية والقطلانية والفلامنية والبيكاردية... الخ).[20]

5. ويتوج أصحاب هذه الدعوة كلامهم بأسلوب معسول فيه منسوب كبير من الحب والاحترام للعربية والقرآن قائلين أن دعوتهم لتبني العامية ليست عداء للعربية أو للقرآن، وإنهم لا يقصدون بدعوتهم إحلال العامية مكان الفصيحة في الشعائر التعبدية، وهذا ضرب العلمانية صرح به السابقون واللاحقون من دعاة العامانية[21] فمثلا نجد ولهلم سبيتا يطمئن مستعملي الفصيحة بأن ما يدعو إليه لا يجور على اللغة الفصيحة التي تستعمل في العبادات، ومن دعاتها الحاليين بالمغرب نجد المسمى عيوش في مناظرة تلفزيونية: يؤكد أنه يحترم اللغة العربية، ولا يهدف إلى الإساءة لها ولا التقليل من شأنها. إلا أنه يدعو في موطن أخر في حوار مع إحدى الصحف، إلى تجاوز العربية حتى في تفسير القرآن. واعتماد الدارجة فقط في التفسير قياسا منه للشعب المغربي العربي على بعض الشعوب المسلمة غير العربية. فيقول: "وحتى الذين يربطون المسألة بالدين يخطئون جدا، لأن تفسير القرآن يجب أن يتم بالدارجة، أي باللغة التي يفهمها الناس"[22]. وكان الأحرى بصاحب هذا الكلام أن يخصص هذا الوقت ليقرأ أو يُقرأ عليه شيئا من كتاب النبوغ المغربي للعلامة عبد الله كنون؛ ليعرف أن هذا البلد عربي أمزيغي دون تناقض ولا تضاد، ثم كيف يُفهم القرآن والسنة وأقوال العلماء وكتب الفقه والحديث وغيرها بدون معرفة اللغة العربية؟! فلا يستطيع المسلم فهم دينه وأحكامه إلا بمعرفة اللغة العربية.

**سادسا مقاصد الدعوة وأهداف الدعاة**

تلك المبررات والمسوغات التي قدمها دعاة العامية لا تغني من الحق شيئا، ومهم سوقوا لتلك الأسباب؛ فإن حقيقة مقاصدهم لا تخطئها عين، ولا يسترها قماش، بل تفضح من أول نقاش. ومن أهم هذه المقاصد نذكر:

1. **محاربة الإسلام والقرآن عبر محاربة لغته الحاملة للفظه ومعناه**، يقول محمود شاكر: "فمنذ استيقظ العالم الأوروبي لنهضته الحديثة وهو يرى عجبا من حوله أمم مختلفة الأجناس والألسنة من قلب روسيا، إلى الصين إلى الهند، إلى جزائر الهند. إلى فارس إلى تركيا إلى بلاد العرب إلى شمال إفريقيا إلى القارة الإفريقية وسواحلها إلى قلب أوروبا نفسها، تتلو كتابا واحدا يجمعها، يقرؤه من لسانه العربية ومن لسانه غير العربية، وتحفظه جمهرة كبيرة منهم عن ظهر قلب، عرفت لغة العرب أم لم تعرفها، ومن لم يحفظ جميعه حفظ بعضه ليقيم به صلاته..."[23]
2. **ترسيخ دعائم الفرونكوفونية في المستعمرات الفرنسية، والأنجلوسسكونية في المستعمرات البريطانية**؛ عبر نشر اللغتين الفرنسية والانجليزية، أو بالأصح الثقافتين: الفرنسية والإنجليزية.
3. **دعم المخططات الاحتلالية**، من خلال ضرب لغات المستعمرات سواء العربية أو الإفريقية أو لشعوب أخرى. ويتجلى الأمر بوضوح في سياسة الاحتلال الفرنسي نحو الدين واللغة الفصيحة في المغرب وشمال إفريقيا؛ يقول الدكتور الودغيري: " أما في المغرب الأقصى والشمال الإفريقي، فقد سلَكَ الاستعمارُ الفرنسيُّ هذا المسلكَ نفسَه، وهو بثُّ الدعوة إلى العامية بقصد محاربة الفصحى ومحاربة الإسلام. وهناك عشراتُ النصوص التي تشهد بالنية المصرَّح بها لمحاربة اللغة العربية وتعليم القرآن الكريم، لأنه بتعليم العربية ينتشر الإسلام في المنطقة، ونشرُ الإسلامُ يسيرُ في ركابه نشرُ الثقافة العربية، والأمران معاً ضد سياسة فرنسا ومصالحها. ويكفينا هنا أن نذكِّر بما قاله جودفروي ديمُونبين في كتابه: الذي طبع في باريس سنة 1928 م بعنوان: L'œuvre française

en matière de l'enseignement. وفيه يقول متحدثاً عن السياسة اللغوية التي رسمتها فرنسا للتعليم بالمغرب: «على أن برامج سنة 1920 م قد أبعَدَت من جميع المدارس القروية دراسةَ العربية الفصحى، وأوصت بعدم فتح كُتّاب جديد في الأرض التي لا يكون موجوداً بها من قبل». ويقول أيضاً في موضع آخر متحدثاً عن السياسة التعليمية الفرنسية بالمغرب: «وترتكز – أي هذه السياسة – على عدم إقامة كُتّابٍ قرآني في المدرسة حين لا يكون له وجودٌ بالمنطقة، وعلى عدم تعليم العربية الفصحى للأطفال"[24]

4. **تمزيق الوحدة العربية والتفريق بين شعوبها**: فالطعن في اللغة التي توحد الأمة وتجمع شتاتها وتشكل القاسم المشترك بين دولها إنما المرد منه تمزيق الممزق ومناقضة قول الباري جلت قدرته في قوله: {إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ} الأنبياء:92. يقول الأستاذ محمود شيت خطاب: "إن الدعوة التي تبناها المبشرون وعملاء الاستعمار وأذنابهم في إبعاد الدين الإسلامي عن الحياة دعوة مريبة، هدفها إبعاد العرب عن الناحية المعنوية في حياتهم، فالعرب جسم والإسلام روحه، ولا بقاء للجسم بدون روح.

والدعوة التي تبناها هؤلاء لاستعمال العامية بدل العربية الفصحى دعوة مريبة، هدفها أن يجعلوا من الأمة العربية أمماً، ومن الشعب العربي شعوباً؛ لأن اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولغة الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولغة قادة الفتح وجنوده، ولغة الفكر وجنوده."[25]

**سابعا: خلاصة وتوصيات**

أجعل خلاصة هذه المداخلة في شكل توصيات أذكر منها:

1 لا خوف على العربية لكونه حاملة للنص المحفوظ، فهي محفوظة بحفظ الله قال تعالى: " **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**" [ الحجر 9].

2 الإقرار بوجود كيد وحقد تجاه اللغة العربية؛ لكونه اللغة الحاملة للخطاب الشرعي والنص القرآني. والضرب فيها إنما المقصد منه الضرب في القرآن وفي ما تحمله من هوية إسلامية وثقافة شرعية.

3 الإصرار على إتقان اللسان العربي الفصيح؛ ولا يتأتى ذلك إلا لمن أحب العربية سعى لها سعيها، والاعتزاز باللسان العربي واستعماله في كل المحافل والمناسبة، وتعليمه للأطفال وتلقينهم حب العربية باعتبارها من الدين.

4 ينبغي النظر إلى وجود العامية في الأصل أمرا طبيعيا ومقبولا وهو الشيء الموجود أيضا في اللغات الأخرى وبالأخص التي لها قدم التاريخ. وإنما المرفوض هو تنصيب العامية مكان اللغة الفصيحة، كما ترمي إليه دعوة أعداء العربية والهوية الإسلامية.

5 ليس كل من كتب في العامية واهتم بها وجمع مادتها له عداء للعربية الفصيحة، بل كان من العلماء الفضلاء المتمسكين بهوية الأمة المنافحين عن لغتها من كتبوا في العامية واشتهرت كتابتهم في هذا الموضوع بكتب لحن العامة.

6 ينبغي عند الحاجة إلى استعمال الدارجة أن نعتمد العامية القريبة من الفصيحة، ونختار الكلمات التي لها جذور عربية ونجتنب الدخيل من الكلمات الفرنسية والإسبانية الإنجليزية وغيرها.

7 أن تدني مستوى اللغة العربية في المجتمع من أسبابه: السياسات التعليمية الفاشلة، ومناهج دراسية تزيد الأمر تعقيدًا، ومعلم للغة يجهل منها أكثر مما يعلم، لا يجيد الحديث بها ولا تدريسها، ولا يعرف كيفية إعراب جملة ليست من أمثلة الكتاب المقرر؛ فضلاً عمن يهاجم اللغة ممن هم من العرب والمفترض أنهم يتكلمون بلغة العرب، وقد أشار جلالة الملك إلى إشكالية السياسة التعليمية في خطاب 20 غشت 2013.

8 أن اللغة العربية هي لغة العلم والتعليم، وأن اتهمها بعدم المواكبة للتطور العلمي وكونها سبب في التقهقر الحاصل في منظومة التربية والتعليم اتهام باطل، وهي بريئة منه براءة الذئب من دم يوسف.

9 أن الإعلام مطالب باستعمال اللسان العربي، أو العامية الفصيحة، لأن دوره جد مهم باعتباره يلامس كل فئات الشعب ومكونات المجتمع، وموقعه ينبغي أن لا ينحاز ضد العربية أو يناصر المد الفرنسي وملحقاته، كالعرنسية وما على شاكلتها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتنزل البركات والصلاة والسلام على سيد السادات وصاحب المعجزات وآله وصحبه المكرومات، ومن صار على نهجهم من الصالحين والصالحات.

**الهوامش:**

[1] المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار. ص:629 الطبعة الرابعة 1425هـ/2004م مكتبة الشروق الدولية

[2] تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ص:03 الطبعة الأولى بتاريخ 1383هـ/1964م نشر دار الثقافة الإسكندرية.

[3] المرجع نفسه ص:07

[4] تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات لدكتور شوقي ضيف ص:03 دار المعارف –1119 كورنيش النيل القاهرة.

[5] تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ص:07.

[6] نفسه ص:11

[7] هناك تطبيل إعلامي واهتمام غير محايد من لدن مجموعة من المنابر الإعلامية بهذه القضية وهذا واضح من خلال الحيز الكبير الذي أفرد لهذا الأمر.

[8] المرجع السابق ص:04.

[9] مجلة المجمع ج 96 ص:39–40 بحث لبعد الرزاق البصير.

[10] أنظر كتابه أباطيل وأسمار الصفحات 180–186 الجزء الأول نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة دون ذكر للطبعة وتاريخها.

[11] مقال "الدعوة إلى الدارجةُ بالمغرب (الجُذور والامتدادات – الأهدافُ والمُسَوِّغاتُ)"

[12] مقال لدكتور عبد العلي الودغيري ص01. سبق ذكره.

[13] المقال السابق لدكتور عبد العلي الودغيري

[14] تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر أنظر الصفحات:43–47–55–67

[15] مقال الدكتور الودغيري.

[16] مقال د مصطفى بن حمزة"الدعوة إلى العامية المسار والأهداف" بتاريخ 25يناير 2014.

[17] قال بعضهم شعرا: نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالعَيْبُ فِينَا ** وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا

وَنَهجُو ذَا الزَّمَانِ بِغيرِ ذَنْبٍ ** وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ لَنَا هَجَانَا

[18] مقال بعنوان: قراءة في كتاب "تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر" على الشابكة العالمية.

[19] المقال السابق.

[20] مقال الدكتور الودغيري السابق.

[21] هذا اصطلاح قصد لفظه كما يقول النحاة أقصد به استخدام العامية وسيلة للعلمانية.

[22] جريدة الصباح حوار مع عيوش أجرته الصحفية ضحى زين الدين. بتاريخ 25 نوفمبر 2013م.

[23] أباطيل وأسمار ص:158.

[24] من مقال سبق ذكره

[25] كتاب قادة فتح الأندلس تأليف محمود شيت خطاب ص23 ج1 مؤسسة علوم القرآن منار للنشر ط1 ت1424هـ/2003م